كما يطلبه الفقراء من النقود والاطعمة والثياب وربما دخل السوق فيجبي الذهب
والفضة والفلوس حتى يملا يديه ثم يفرق ذلك على كل من يلقاه خارج السوق
من المحاويج ويقول قد نفعنا الناس من بعضهم بعضا وكان لا ياكل من احد
شيا الا ان كان على قدمه في الورع وكان يحمل معه كل سنة النقود والثياب
والسكر وغير ذلك فيعطيها لمن يراه محتاجا في طريق الحجاز ومكة والمدينة
فكان عرب البوادي واهل الحرمين ينتظرونه من العام الى العام رضي الله عنه
ومنهم الشيخ الصالح السني المحدث ابن داود المنزلاوي كان يجتمع برسول
الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة ويعرض عليه الاحاديث التي ضعفها
الحفاظ من طريق سندهم الظاهر ويعمل باشارته صلى الله عليه وسلم وكان
ورعا زاهدا في الدنيا وملابسها ومطاعمها وشهواتها وكان يوثر اخوانه
على نفسه دائما وارسل له سيدي ابراهيم المتبولي اربعين اردبا ايام الغلا
ففرقها كلها في ساعة على الفقراء والمساكين وبات طاويا هو وعياله
رضي الله عنه وكانت زاويته على البحر الملح فكان عياله اذا لم يجدوا ما يطبخون
به الارز للضيوف او سبيرجا يقول اللهم استرني مع ضيوفي ويرسل
النقيب يغرف من البحر الملح لبنا او عسلا ويطبخون به انتهى وقد حضرته
انا ليلة في طبيخ اللبن وصار الضيوف يقولون ما اشد دسومة [illegible] لهما
فيتبسم الشيخ وهو ساكت رضي الله تعالى عنه ومنهم الشيخ العارف
بالله تعالى الشيخ يوسف الحريثي والد سيدي الشيخ ابي العباس المدفون
بزاوية الشيخ شمس الدين الديروطي صاحب البرج بثغر دمياط وكان
هو وولده المذكور من اولياء الله تعالى صحبتهما نحو عشرين سنة فما رايت لهما
ساعة فراغ من العبادة في ليل ونهار الا ما يطرق البشر عادة نحو نفس
او نفسين وكانا يقولان من غفل عن الله تعالى ثلاثة انفاس كتب في ديوان
الغافلين وكانت لهما مكاشفات وكرامات فكان اذا شكى لهما احد من
مرض يقولان له تقوم من مرضك كذا كذا يوما او ساعة مثلا فلا يخطي
ورايت الشيخ يوسف هذا وهو ينسخ المصاحف وعشرة انفس يصلحون
عليه الواحهم معا فيرد على كل واحد اللحنة وهو ينسخ لا يشغله ذلك
عما هو فيه وقال لي يوما يا ولدي عليك باخفاء الاعمال ما دمت في هذه الدار

فان

فان النفس لها دسايس وربما اظهرت العمل في جهة الاقتدا بها ويكون غرضها
معرفة الناس باحوالها لا غير وقالت المرة لما تزوجت امرا بي العباس صغيرة
كنت اقرا كل ليلة عندها ختما مدة عشر سنين فما اظنها شعرت بي ليلة
واحدة مات رضي الله عنه في سنة ثلاث وعشرين وتسعماية ودفن بجامع
البشيري فقريبا من بركة الرطلي رضي الله عنه وحضرته ليلة وفاته فقال
يا ولدي قد خرجت من الدنيا وعلى قلبي غمة من عدم معرفتي بكيفية تخليل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحيته في الوضوء وسالت عن ذلك الشيخ جلال الدين
السيوطي والحافظ الشيخ عثمان الديمي فما شفوني فبكيت على ذهاب مثله
من الدنيا رضي الله عنه ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين
الديروطي الواعظ بجامع الازهر كان ورعا زاهدا قوالا بالحق يواجه
بذلك الملوك فمن دونهم وكانت له هيبة عظيمة على الملوك فضلا عن غيرهم
وكان يحط على السلطان الغوري من جهة تركه الجهاد في الكفار فبلغ ذلك
السلطان فطلبه فطلعت معه وانا شاب فقام له السلطان وعظمه
وقال بلغني انك تحط علي من جهة عدم اخراجي عسكرا للجهاد وقد ضاق
الوقت وما عندنا مراكب الآن ميسرة فقال له استاجر مراكب باجرة
من بيت المال فقال السلطان ان شا الله فقال الشيخ يا مولانا لا تنكدر
من حطنا عليكم في المجالس فانا انما نفعل ذلك محبة في مولانا وان الله تعالى
يكتبه من جملة المجاهدين في سبيله فقال السلطان جزاكم الله عنا وعن
الامة خيرا فلا تخلونا من نصحكم فقال الشيخ فاذن وجب علينا ان نذكر
مولانا بنعمة الله عليه ثم قال اعلم يا مولانا ان الله تعالى من عليك بالاسلام
بعد ان كنت كافرا ومن عليك بالحرية بعد ان كنت رقيقا ورقاك في خدمة
امير بعد امير الى ان صرت اميرا ثم ولاك السلطنة فوجب عليك الشكر
باعلى مراتب الشكر من الاعمال الشاقة على روحك وجسمك الى ان تموت
فلعل الله تعالى يخفف عليك الحساب فانه لا بد ان يسالك عن حقوق
جميع رعيتك في يوم تشيب فيه الاطفال وتذوب فيه الجبال فبكى السلطان
حتى بل لحيته فلما فارقه الشيخ ونزل الى باب القلعة الاسفل ارسل وراه
السلطان فرجع فقال له بلغني انك تعمر برجا في دمياط وهذه عشرة الاف

Copyright © King Saud University